السياحة في العراق

ستنهض من رماد الحروب مثل عنقاء متجددة

لندن - كارن دابروفسكي
مؤلفة أول دليل سياحي للعراق، وصحفية تعيش في لندن.

في ظل حرب العصابات في العراق فإنه حتى الباحثين عن المغامرة المثيرة جدا قد يتركون بغداد في الوقت الحاضر. لكن هذا لا يعني أن كلّ السياحة في العراق قد انتهت. فأوائل السيّاح في العراق ما بعد صدام هم الجنود الأمريكيون والبريطانيون. قبل توجّههم إلى هدفهم جلس هؤلاء الجنود يقرؤون عن بابل بينما راح دليل سياحي عراقي يشرح لهم حول عجائب العالم القديم. ←

غابات النخيل في أبي الخصيب.
The date palms of Abu al-Khassib.

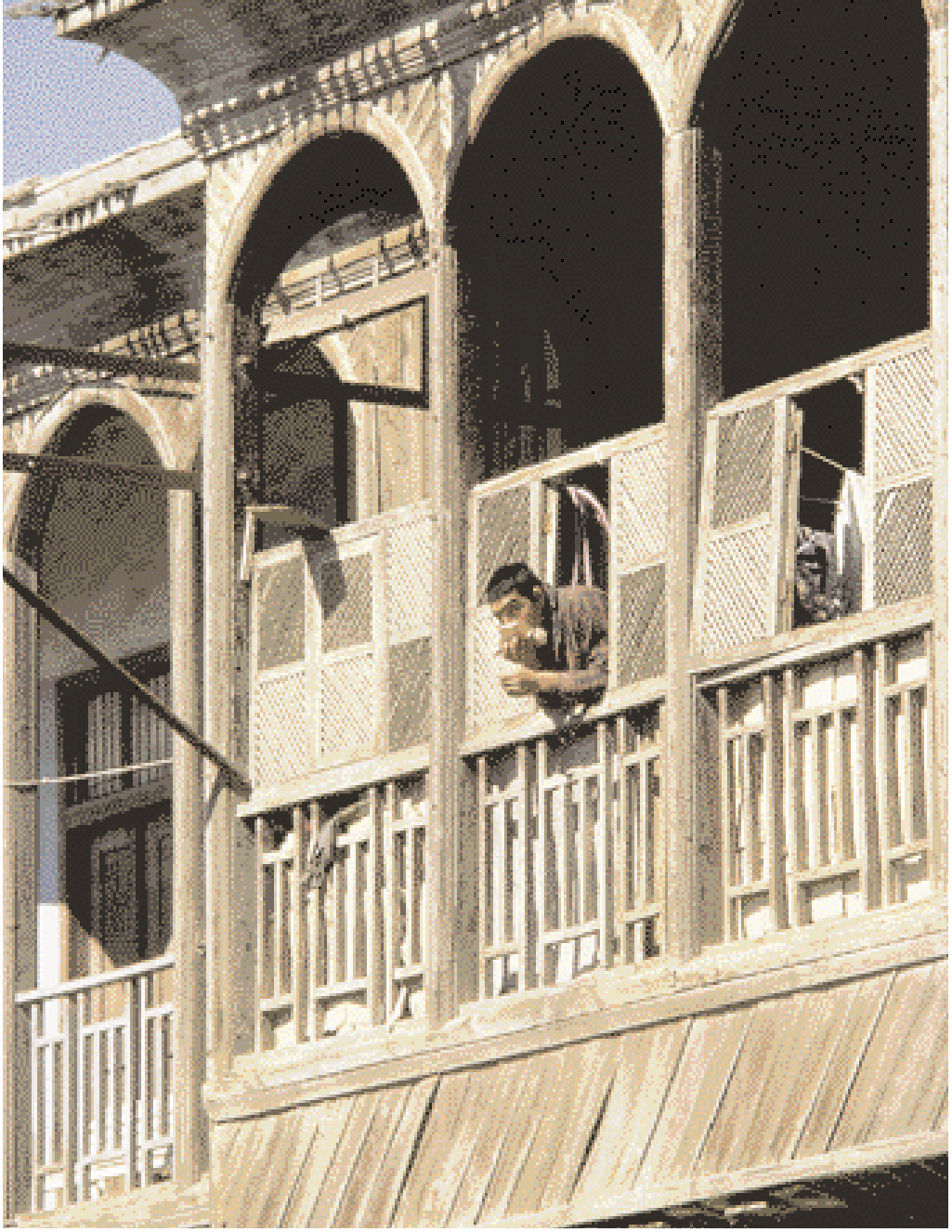

طراز البيوت القديمة.
The old houses (Shanashil).

وللأسف ليس هذا هو سلوك كلّ أفراد الجيش. فقد ادّعى عمال الإغاثة بأنّ بعض أفراد القوات الأمريكية رش الأصباغ على طابوق إحدى أقدم أطلال العالم، وهي المدينة السومرية أور في جنوب العراق. وحالما تصمت أسلحة الحرب، فإن الاستقرار وحكم القانون سيعودان إلى العراق، وستشكل آثاره القديمة، ومواقع العظمة الإسلامية فيه، والمناظر المدهشه في شماله وعاصمته السحرية بغداد عوامل جذب كبيرة لتجعل منه قبلة الوجهات السياحية.

ومثلت مواقع العراق الآثارية القديمة الرائعة دور المغناطيس الذي يجذب الزوّار إلى البلاد طوال القرون. فهي أرض الألواح الطينية، الأختام الأسطوانية، الجداريات المنقوشة، الزقورات وأطلال المعابد والقصور. والاسم القديم للعراق "بلاد ما بين النهرين" يعني "الأرض التي بين النهرين". وهما دجلة والفرات. اعتبر المؤرخون بلاد ما بين النهرين مهد الحضارة. ففي الألفية الرابعة قبل الميلاد أقام ملوك السومريين، الذين حكموا في نفس الوقت الذي حكمت فيه أقدم السلالات المصرية، المدن الأولى في العالم. ووضع حمورابي (1972 – 1750 قبل الميلاد)، حاكم بابل، إحدى أقدم مسودات القانون في العالم ليؤكد بأن "العدالة سادت البلاد". كما وتعتبر الجنائن المعلقة لبابل، التي أقامها الملك البابلي نبوخذ نصر (605 – 562 قبل الميلاد) الأعجوبة السابعة للعالم القديم.

بالنسبة للسيّاح في الوقت الحاضر تعدّ زيارة بابل التي تقع على بعد 90 كيلومترا جنوب بغداد أمرا واجبا فهي أكثر المواقع القديمة التي أعيد بناؤها. هناك أسد رائع نحت من حجر البازلت وبوّابة عشتار التي تحتوي على بعض نقوش بارزة غير مزجّجة لثيران وتنينات. الجدران الجميلة ذات الطابوق المزجّج التي تضم ثيران

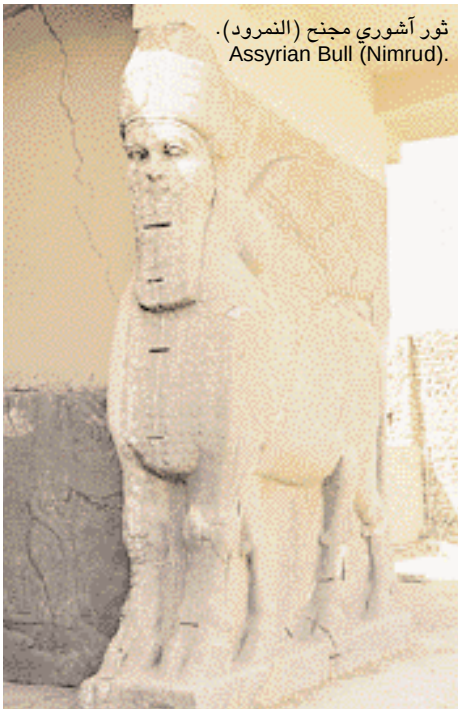

ثور آشوري مجنح (النمرود).
Assyrian Bull (Nimrud).

وتنينات وأسود (رمز آلهة الحبّ والحرب عشتار) التي زيّنت البوّابة أخذت من قبل بعثة ألمانية إلى متحف برلين قبل الحرب العالمية الأولى.

أفضل الأطلال وجدت في موقع بورسيبا، 15 كيلومترا جنوب بابل، والتي تبدو في الغسق كأنها منظر شاده خيال علمي طبيعي. كان بورسيبا مكان عبادة نابو، ابن الإلـه البابلي العظيم "ماردوك". أما الزقورة ذات المستويات السبعة فلها كتل خضراء داكنة من طابوق مصهور يعتقد العلماء أنه تقطع عندما ضربه نيزك. وهناك تلّ قديم يقابل الزقورة يعتقد بأنّه كان محل ولادة النبي إبراهيم (ع).

ومن آثار القرن الأول الميلادي الحضر، الذي يثير البهجة عند التجوّل خلاله، وهو مثل تاج محل الهند، لا يستطيع المصور إنصاف أعجوبته. والحضر عبارة عن بقايا 12 معبداً صغيراً كشف عنه سويّة مع معبد هيليني والعديد من تماثيل أبولو، إيروس وآلهة يونانية أخرى.

وأدّت الأحداث المأساوية في التأريخ المبكّر للإسلام إلى بناء الأضرحة الرائعة في مدن صحراء النجف وكربلاء في جنوب العراق.وسنوياً يتوجّهون آلاف الزوار من العالم الإسلامي لزيارة هذه الروائع، حيث جرت مذبحة مأساوية قبل 14 قرناً. ولمسجد الإمام الحسين (رض) الذي بنى في موقع المعركة التي حدثت في عام 680م في كربلاء، قبة نحاسية مذهّبة، وبوّابة رئيسية لها برج ساعة من الطابوق الأزرق المزجّج والفخاريات الذهبية.

وشمالاً في كردستان العراق هناك مناظر رائعة من أنهار مشجّرة ومتدفقة بالمياه أحياناً، وضحلة وعارية أحيانا أخرى، لكنها تثير الرهبة في أغلب الأحيان عند الزائرين. إن القرى الجبلية هي أماكن ساحرة للسيّاح، وقد تكون على بعد بضعة أميال فقط عن بعضها البعض لكن لكلّ منها شخصيتها المتميزة. من المناظر التي تثير العجب هنا ترحيب الناس بالزوار وسعيهم الجاد للتعرف على الزائر، وهذه الحفاوة، مع التمتع بالهواء الصحّي البارد غير الملوّث، تضمنان لك زيارة لا تنسى.

ويعتقد بأنّ أربيل هي إحدى أقدم مدن العالم المسكونة بشكل مستمر. إنّ أحدى نقاط الجذب الرئيسي للسياح فيها هي القلعة التي اعترفت بها منظمة الأمم المتحدة للعلوم والتربية والثقافة كموقع تاريخي. كما أن هناك سوقها المغطّاة المدهشة ←

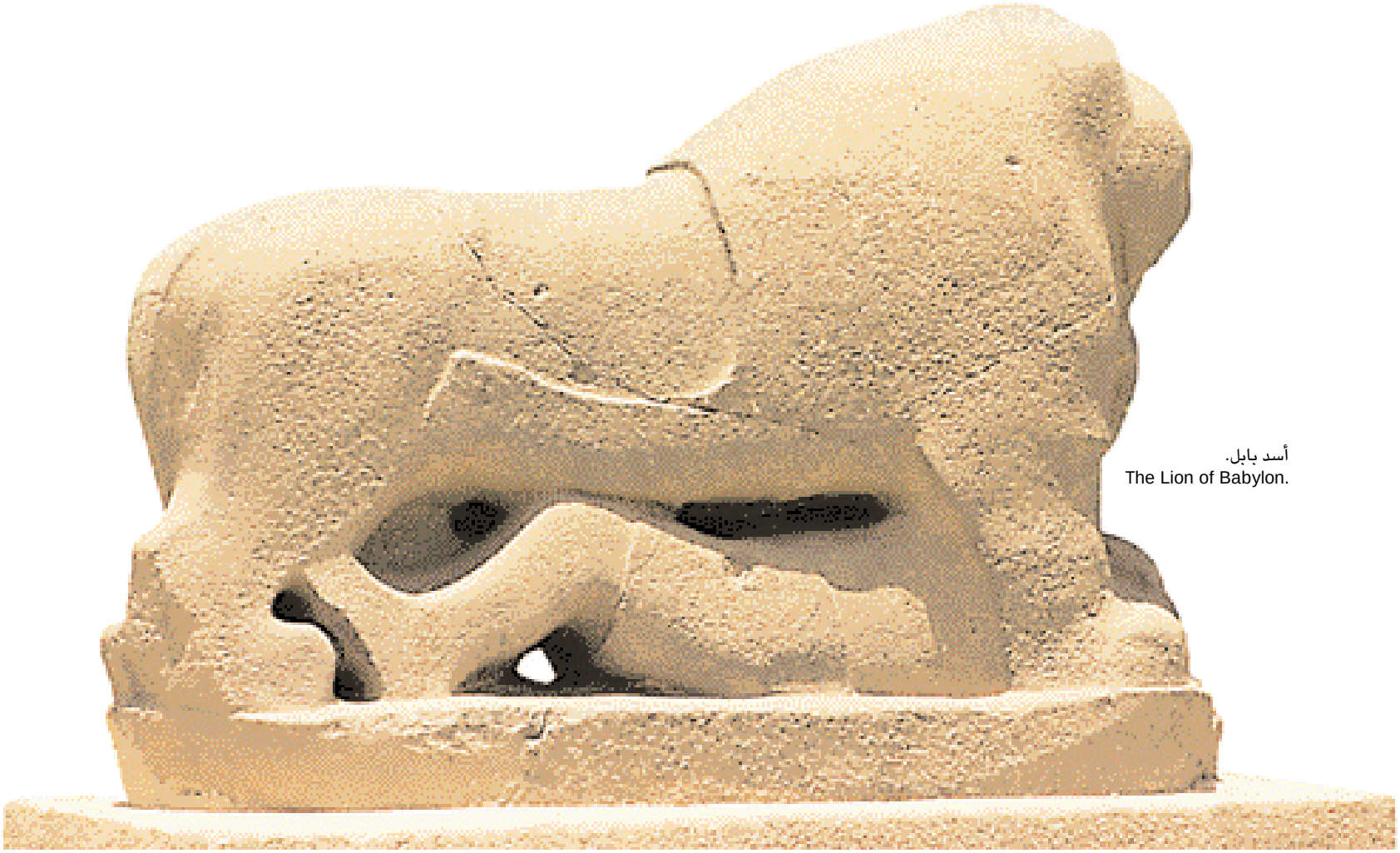

أسد بابل.
The Lion of Babylon.

العراق ينهض دائما مثل عنقاء تقوم من رماد الحضارات المقهورة، وسوف يرحّب بزوّاره مرة أخرى بعد هذه الحرب المدمّرة. ربّما يلزم المسافرون أن ينسوا مؤقتا المفاهيم الغربية عن الحالة الطبيعية بينما تصوغ البلاد هوية جديدة وتعيد بناء كرامتها والاعتداد بنفسها. لكن المكافآت هي في الثروة غير المحدودة من الغنى الثقافي الذي يكتسبه الزوّار على الرغم من كلّ شيء، والذي يجد له مكانا دائما في القلب.

التي تبيع كلّ شيء من النسيج والمجوهرات إلى الجبن المصنوع من حليب الخروف. إن أفضل حاجة تذكارية هي سجادة أربيل المشهورة التي تأتي بالدرجة الثانية بعد السجاد الإيراني.

ومدينة السليمانية بنيت قبل 250 سنة من قبل سليمان الكبير، وهي مدينة رائعة كبيرة ذات شوارع عريضة محفوفة بالأشجار ومشى لطيف على ضفة النهر. وفي القرب من مدينة حلبجة نصب رائع يرمز إلى ضحايا الهجوم بالأسلحة الكيماوية على المدينة في 1988.

الموصل مشهورة بكنائسها وأديرتها التي تحوي معظم التراث المبكّر للمسيحية الشرقية. وما زالت كنيسة مارتوما أقدم الكنائس، التي بنيت على المنزل الذي سكنه القديس مارتوما قيد الاستعمال إلى اليوم.

وبعد عمليات النهب التي تبعت الحرب الأخيرة على العراق، فإن آثارا قليلة جُمعت وأخذت طريقها للعرض في القاعات الـ28 في المتحف الوطني العراقي الذي اختفت منه مئات القطع. ومع أن الكثير منها أرجع لكنّ المتحف يحتاج وقتا طويلا لكي يعود إلى مجده السابق. وفندق الرشيد الفاخر غدا هيكلا بعد الحرق، والدمار الذي لحقه يشبه ما حلّ ببغداد بعد الغزو المغولي عام 1258 عندما تضررت بنايات المدينة الرئيسية أو دمّرت ونهبت كنوزها.

ولكن العراق ينهض دائما مثل عنقاء تقوم من رماد الحضارات المقهورة، وسوف يرحّب بزوّاره مرة أخرى بعد هذه الحرب المدمّرة. ربّما يلزم المسافرون أن ينسوا مؤقتا المفاهيم الغربية عن الحالة الطبيعية بينما تصوغ البلاد هوية جديدة وتعيد بناء كرامتها والاعتداد بنفسها. لكن المكافآت هي في الثروة غير المحدودة من الغنى الثقافي الذي يكتسبه الزوّار على الرغم من كلّ شيء، والذي يجد له مكانا دائما في القلب. ■